بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 26 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:01\12\2021 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

بقي الكلام في الآية الثانية عشر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1] فيما ذيلت به الآية من قوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ بينما في الآية الواردة في سورة النمل والشبيهة بهذه الآية جاء ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ فما هو السر في ذلك؟

هذه الصيغة -الغني الحميد- مع قطع النظر عن إعرابها وعن كونها مقترنة بالألف واللام أم المجردة عن الألف واللام وردت في القرآن الكريم في عشرة موارد منها هذا المورد ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ هذا تكرر في عشر آيات من آيات القرآن الكريم، مثلاً منها: قوله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2] ومنها ما جاء في سورة التغابن: ﴿فَقالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات. وورد غني كريم مرة واحدة في القرآن الكريم، وهي في سورة النمل[4]، وورد غني حليم مرة واحدة أيضاً في سورة النساء[5]. إذن أكثر الموارد هي غني حميد.

بينا الوجه في استعمال كلمة غني هنا، فإن الذي إذا كان الإنسان الشاكر كان شاكراً لنفسه، والإنسان الكافر بأنهم الله عليه كفره؛ لأن الله سبحانه وتعالى مستغن، هو الغني المطلق، فلا شكرُ من شكر يرجع نفعه إليه ولا ضر من كفر يرجع ضرره إليه، فإذن هو الغني.

---

[1] لقمان 12

[2] البقرة 267

[3] التغابن 6

[4] النمل 40: {قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}

[5] النساء 131: {وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَميداً}

أما الحميد صيغة فعيل، في اللغة العربية تارة تستعمل بمعنى الفاعل وأخرى تستعمل بمعنى المفعول، أما استعمالها بمعنى الفاعل فمن قبيل كلمة ظهير ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[6] أي: مساناداً ومعيناً، فهنا ظهير بمعنى الفاعل. وقد يأتي هذا الوزن بمعنى مفعول، كما تقول جريح، أي: مجروح، فتأتي بمعنى مفعول.

في هذه الاستعمالات في القرآن الكريم لكلمة حميد يحتمل الوجهان، أن تكون بمعنى الفاعل وأن تكون بمعنى المفعول، أن تكون بمعنى حامد وأن تكون بمعنى محمود، لكن الذي يقرب في مثل هذه الآية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أن يكون المراد أنه كما هو غني في ذاته، ولا ينفعه شكر من شكر، ولا يضره كفر من كفر، هو أيضاً بذاته محمود لصفات كماله وجلاله، فهو بالذات مستحق للحمد، هو محمود، حمدتموه أو شكرتموه أم لم تحمدوه أو تشكروه هو بذاته محمود؛ لصفاته ولجلاله وجماله ولكبريائه وعظمته، فكما هو مستغن؛ لأنه فوق حد أن يصله نفع أو يناله ضرر، هو بذاته أيضاً محمود، هذا معنى الآية.

لكن يبقى السؤال أنه لماذا غير التعبير في صورة النمل؟ نلاحظ أنه في سورة النمل الآية جاءت على لسان سليمان لا على لسان الله سبحانه وتعالى ﴿قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ لولا كلمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي﴾ يمكن أن يقال إن قول سليمان متى انتهى عند قوله: ﴿هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ انتهى قول سليمان، والباري سبحانه وتعالى علق على قوله بقوله: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ﴾ لكن هذا الاحتمال مدفوع بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ وأن هذا كله مستمر إلى الأخير هو من مقول قول سليمان عليه السلام، فإذن في آية النمل هذا الكلام صدر من سليمان النبي على نبينا وآله وعليه الآف التحية والثناء.

أما في آية لقمان فهذا الكلام من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ المتكلم هو الله، عندما تكلم الله سبحانه وتعالى

[6] الإسراء 88

عن ذاته أتى بهذين الوصفين الذاتيين؛ ليؤكد استغنائه عن شكر من شكره وعدم تضرره بكفر من كفر بنعمائه، جاء بهاتين الصفتين الذاتيتين، الأولى الغنى، والثانية الحميد بمعنى المحمود في ذاته.

أما هناك لما كان المتكلم هو سليمان عليه السلام، فمن جهة بين استغناء الله سبحانه وتعالى عن الشكر، فلا ينفعه من شكره ولا يضره من كفر بنعمائه، لكن ذيل ذلك بصفة الكريم، والكريم هنا على ما ذكره علماء التفسير فعيل بمعنى فاعل، وهو الذي يتجاوز عن ذنوب الغير، وهو الذي يصفح والمصفح، فيكون ذكرها من ناحية سليمان فيها نوع من التواضع، وهو أنه مهما شكرنا نحن بحاجة نبقى مقصرين وبحاجة إلى صفح الله سبحانه وإلى كرمه؛ فلكونها من العبد ناسب أن يذكر هذه الصفة، بينما في هذه الآية لكونها من الباري تبارك وتعالى ناسب أن يبين مقامه وعظم شأنه وجلاله وكماله، هذا هو السر باعتقادي القاصر في التفاوت بين هاتين الآيتين اللتين هما متقاربتا المعنى.

وبهذا يكون قد تم الكلام في الآية الثانية عشر.

الآية الثالث عشر: ﴿وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

في هذه الآية يوجد مجموعة من اللطائف:

اللطيفة الأولى: أن لقمان الحكيم جمع بين الكمال والتكامل، أما الكمال فقد أفادته الآية السابقة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾ والحكمة وصف كمال، فإذن لقمان الحكيم أعطاه الله سبحانه وتعالى هذه الصفة، فآتيناه الحكمة حين جعلناه شاكراً في نفسه، جاءت هذه الآية وعطفت على معنى الآية السابقة، أي: وحين جعلناه واعظاً ومكملاً لغيره؛ لأن في هذه الآية الثالثة عشر شرع لقمان عليه السلام بوعظه، فأولياء الله تبارك وتعالى ينفقون مما يعطيهم الله سبحانه وتعالى، فالله أنعم عليه بصفة الحكمة، فأعطى من حكمته فوعظ. فإن علو مرتبة الإنسان تكون بأن يكون كاملاً في نفسه ومكملاً لغيره، وهاتان الصفتان اجتمعتا في لقمان.

اللطيفة الثانية: أن هذه الآية الشريفة تتكلم عن نصيحة والد لولده، فمن جهة هذا الوالد حكيم، ومن جهة أخرى هذه النصيحة التي يعطيها يعطيها أولاً وبالذات لولده، ونصيحة الوالد لولده ناشئة عن شفقة، ناشئة عن محبة، ناشئة عن وجدتك بعضي بل وجدتك كلي، فهذا يعني أن هذه النصيحة لهذين

الأمرين كونها صادرة عن حكيم، وكونها من الوالد لولده، لا يمكن إلا أن تكون نصيحة مصيبة، نصيحة فيها الصواب وفيها الحق، فمن خلال هذه النصيحة يكون هناك خطاب للبشرية جمعاء مع هذه المؤثرات في عملية تبليغ هذه النصيحة، أنها صدرت عن حكيم، وأنها صدرت من والد إلى ولده. نكتفي بهذا المقدار والحمد لله رب العالمين.